مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-050
المجلد 3/ العدد 01 (2015)ص 57-81

العولمة الإعلامية وأثرها على الأسرة العربية

الأستاذ: شاشة فارس
جامعة فرحات عباس-سطي الجزائر

مقدمة

إن العولمة منظومة متكاملة يرتبط فيها الجانب السياسيُّ بالجانب الإقتصادي، والجانبان معاً يتكاملان مع الجانب الاجتماعي والثقافي، ولا يكاد يستقل جانبٌ بذاته، ولكن آلة ذلك كله التي لاتنفصل البتة عن أي شكل من أشكال العولمة هو الإعلام بوسائله المتعدد، فمهما رأيت صوراً لعولمة ثقافية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، فاقطع بأنها جاءت محمولة عبر آلية إعلامية. فنجاح مروجي ثقافاتهم واقتصادياتهم وسياساتهم بل وحروبهم، كان من أعظم أسبابه نجاحهم في عولمة إعلامهم.

- مفهوم العولمة:

يرى كل من هارس مان مارشال وروبرت ريتش بان العولمة (هي اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة- وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق- كذلك خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما سيؤدي بالتالي إلى اختراق الحدود القومية وانحسار سيادة الدول عن طريق الاستعمار غير المباشر للشركات الرأسمالية الضخمة متخطية أو عابرة الحدود- التي تعد العنصر الأساس لهذه الظاهرة). (1)

ويقول فاليت:(إن العولمة هي عبارة عن مسلسل لتكثيف الإفراد والسلع والخدمات والرساميل والوسائل التقنية الحديثة وانتشارها لتشمل الكرة الأرضية بكاملها). (2)

ويرى بعضهم إن العولمة حسب النظرية السائدة هي تحول العالم بفضل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية - وانخفاض تكاليف النقل - وتحرير التجارة الدولية- إلى سوق واحدة تشتد فيها وطأة المنافسة ويتسع نطاقها بحيث تمتد من سوق السلع إلى سوق العمل ورأس المال أيضا.

وعلى صعيد أخر يرى البعض إن العولمة هي نتاج لمجموعة من الأساليب والعوامل - وهي بلورة لمجموعة من الخصائص التي يتسم بها النظام الاقتصادي العالمي الجديد بما يلي:

1- انهيار نظام بريتون وودز 1971-1973 بإعلان الرئيس الأمريكي السابق نيكسون 1971 وقف تحويل الدولار الى ذهب بسبب نقص الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي.

2- عولمة النشاط الإنتاجي.

3- عولمة النشاط المالي واندماج أسواق المال.

4- تغير مركز القوى العالمية.

5- تغير هيكل الاقتصاد العالمي وسياسات التنمية.

وهناك رؤية واسعة الانتشار تقدم بها عالم السياسة الأمريكي (جيمس روسناو) حول العولمة فنجده يعبر عنها على أساس أنها تقيم علاقة بين مستويات متعددة للتحليل - اقتصاد- سياسة- ثقافة- ويذكر احد الكتاب الفرنسيين عن النظام الرأسمالي الأمريكي (.. فكلما ازداد هذا النظام الرأسمالي الجشع إمعانا وانتشارا بالعولمة - ازدادت الانتفاضات والحروب العرقية والقبلية والعنصرية والدينية للتفتيش عن الهوية القومية في المستقبل- وكلما تفشت المعلوماتية والأجهزة التلفزيونية والسلكية واللاسلكية-تكبلت الأيدي بقيود العبودية- وازدادت مظاهر الوحدة والانعزال والخوف والهلع دون عائلة ولا وطن- وكلما ازدادت وسائل الرفاهية سوف تزداد أكثر فأكثر جرائم البربرية والعبودية) ولو تمعنا بدراسات المفكرين العرب وما قالوه عن العولمة- نرى أنهم يعرفون العولمة في إطار المقولات الاتية لتلتقي على بيان حقيقة واحدة(3).

ويشبه الدكتور نجيب غزاوي ان إمبراطورية العولمة بالإمبراطورية التي عمدت على فرض مبادئها ونظمها في الحكم وأنماط حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية بالقوة وكذلك حال الإمبراطوريات الحديثة مثل بريطانيا في مستعمراتها ثم في الكومنولث- وفرنسا في مستعمراتها ثم الفرانكفونية- وفي نهاية الحرب العالمية الثانية برزت عولمة الشيوعية متمثلة بالاتحاد السوفيتي وعولمته.

والعولمة عند الدكتور محمد الجابري فهي تستهدف ثلاث كيانات- الدولة والأمة والوطن- ويسميها أيضا بثقافة الاختراق- اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغتها ودولها وأوطانها وأديانها.

والدكتورة نعيمة شوفان ترى أنه في ظل العولمة تسلم البلاد الفقيرة لا إلى فقدان الاستقلال السياسي وإنما إلى العبودية- فكأن البلدان مدينة وكافة البلدان متوقفة على تسديد الديون ولا تملك الخيار أو الرفض للمشاريع المعروضة عليها.

ومن خلال تحليل التعاريف الوارد ذكرها وتضمينها للمواضيع الأساسية المؤثرة في الساحة الدولية نجد أن :

أولا- العولمة والجانب السياسي: في تأثير العولمة على الجانب السياسي يظهر من سعي الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بما لها من نفوذ وسطوة على العالم إلى فرض النموذج الغربي في الحكم والذي يتمثل بالديمقراطية- وأخذت تعتبر هذا شرطا في التعامل مع الدول الأخرى- والديمقراطية الغربية تعتمد على التعددية وحرية الرأي والتعبير من خلال القنوات التي اعتمدتها الديمقراطية في الانتخابات وغيرها- إلا أن سلبيات هذه الديمقراطية الغربية هي بفوز الغالبية في هذه الانتخابات (من يستطيع أن يصرف أكثر في حملته الانتخابية ويعطي وعودا براقة سرعان ما يتخلى عنها بعد فوزه).

كذلك إن النموذج الاندماجي الأوربي الذي نراه يقوم أساسا على تخلي الدول الأوربية الطوعي عن جزء من السيادة الدولية لصالح الوحدة الاقتصادية- وربما بعد ذلك بروز الولايات المتحدة الأوربية التي من المحتمل إن تكون ندا ومنافسا للولايات المتحدة الأمريكية.

ثانيا- العولمة والجانب الاقتصادي : من الواضح إن الجانب الاقتصادي له تأثير كبير في العولمة لأنه يفسح المجال أمام أصحاب رؤوس الأموال (البرجوازيين) لمضاعفة أموالهم عن طريق توظيف هذه الأموال- وتتضح الملامح الرئيسية المميزة للعولمة من الناحية الاقتصادية بالاتجاه العالمي لمزيد من التكتلات الاقتصادية وتنامي نشاط المؤسسات المالية وتدويل المشاكل الاقتصادية وإعطاء دورا هاما للثورة التقنية لما لها من اثر على

الاقتصاد العالمي- والعولمة الاقتصادية تعتمد على السوق المفتوح وبلا حدود من خلال إلغاء القيود على حركة رؤوس الأموال والبضائع عن طريق التجارة الحرة التي تعتبر أهم أدوات العولمة.

ثالثا- العولمة والجانب الثقافي: إن الواقع يؤكد بوجود ثقافات متعددة ومتنوعة تختلف بعضها عن بعض- وليس هناك ثقافة عالمية واحدة مثلما تسعى العولمة إلى تدمير البني الثقافية للبلدان التي اعتزت لقرون بثقافتها عن طريق تدمير بناها الاجتماعية وعزل الثقافة عن الواقع لتؤكد بان هناك ثقافة المركز الواحد المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية- والدعوة لتبني هذا النموذج الأوحد- وعمدت إلى كثير من الطرق والوسائل لغزو الثقافات الأخرى كمصادر البث الإعلامي- والأقمار الصناعية والانترنيت التي تتحكم بها الولايات المتحدة الأمريكية- حيث بمقدور مراكز البث والتصنيع إن تشيع الأخبار والمعلومات بالسبل التي توافقها بما في ذلك أخبار البلدان المتلقية.

فإن الخطر الأكبر الذي تنطوي عليه العولمة هو محو الهويات الثقافية للشعوب وطمس الخصوصيات الحضارية للأمم على انه إحدى موجات الحداثة الفكرية التي يجب على العالم إن ينخرط فيها ويستوعب معطياتها إن أراد أن يواكب العصر ويساير التطور الحضاري الإنساني.

رابعا- العولمة والجانب الاجتماعي : إن المبدأ الذي تنطلق منه ظاهرة العولمة من اجل جعل العالم قرية كونية واحدة تخضع للتوجهات الأمريكية اليهودية- هو الوصول إلى مجتمع واحد ذي ملامح واحدة- وأنظمة اجتماعية واحدة- وأخلاق وعادات واحدة- سيكون من أولويات الظاهرة- لان صياغة المجتمع صياغة واحدة يسهل مهمة الأجنحة الهدامة الأخرى للعولمة في إفساد المجتمع وتفريغه من القيم الأصيلة- والأخلاق الحميدة النابعة من الأديان السماوية والفطرة الإنسانية حتى لا تقوم له قائمة من الشهامة والرجولة والعفة والكرامة إمام مخطط العولمة الرأسمالية الأمريكية اليهودية الجشعة- وظاهرة العولمة تعمل من اجل سلسلة المجتمع حين يمكن بذلك اختراقه بسهولة.

وفي ظل ظاهرة العولمه بدأ ينشأ تقسيم عالمي جديد للعمل ، تهيمن فيه بلاد ما بعد التكنولوجيا ، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، على أنشطة الاقتصاد الجديد أو الاقتصاد المعرفي ، الذي يتعامل بالأفكار والمعلومات والبرمجيات وأنظمة الاتصال والرموز الرقمية ،وإنتاج تكنولوجيا المعلومات وتشغيلها وصيانتها وحماية عملياتها .ويقوم هذا التقسيم على ثنائي جديد هو المعلوماتية –العولمة، وتركت أنشطة الاقتصاد القديم والمقصود بها أنشطة الإنتاج السلعي للبلدان النامية أو بلدان ما قبل الثورة التكنولوجية ،كي تتخصص بإنتاج السلع التقليدية التي تحتاج إلى القوى العاملة الرخيصة ،إضافة إلى تحميل تلك الأقطارعبء تلوث البيئة.وبناء على كل ماتقدم يمكن تلخيص مفهوم العولمة في صورة مصفوفة رباعية (2×2) نبين فيها أن ظاهرة العولمة قد أحدثها محركان أوليان.

المحرك الأول: هو الابتكار التكنولوجي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

المحرك الثاني: هو انتصار الفلسفة الليبرالية الجديدة و فلسفة اقتصاد السوق الحر وتراجع وانحسار

الفلسفة الأشتراكية والمدرسة الكينزية والأتجاهات الاخرى الداعية إلى توسيع نطاق تدخل الحكومة في النشاط الأقتصادي. وفي هذا الإطار تقدم الديمقراطية (البنية سياسية) كتوأم للاقتصاد الحر(البنية الاقتصادية) فيكونان معا استراتيجية النموذج الغربي للرأسمالية في صياغته الأمريكية.

أن هذين المحركين قد اديا بدورهما الى ظهور نتيجتين. (4)

الاولى: هي تقليص سيادة الدولة وتهميش دورها ،ففي ظل العولمة تصبح إدارة الدولة شئناً تتقاسمه الحكومة مع المنظمات الدولية وبخاصة تلك المسؤولة عن ادارة العولمة كمنظمة التجارة الدولية و صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والشركات المتعددة الجنسية .

والثانية: هي ردود الفعل على تهديدات العولمة،او مايعرف بالعولمة المضادة ،التي تتزعمهاالأحزاب والجماعات والمؤسسات وبخاصة المنظمات الدينية الدينية الاصولية

والمتطرفة التي ترى في العولمة خطراً على الهوية الثقافية ،منطلقين في ذلك من مبررات ودوافع دينية احياناً أوسياسية أو اقتصادية أوحتى لغوية في أحيان اخرى .

عناصر المصفوفة الرباعية للعولمة

ابتكار التكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات (أنتشارالقطيع الإلكتروني)[1]	سيطرة الفلسفة الليبرالية الجديدة واقتصاد السوق الحر والسعي الى التنميط الاقتصادي والثقافي والسياسي (التنميط)
تقليص و تهميش سيادة الدولة وتذويب الفوارق الثقافية وإزالة الحدود بين الدول (أقتلاع شجرة الزيتون)[2]	ردود الفعل من قبل المدافعين عن الهوية الثقافية (العولمة المضادة)

2-ثانيا: أبعاد العولمة

تشمل عملية العولمة على الابعاد الاتية.

. **البعد الاقتصادي**: ويتمثل في نمو و تعميق الاعتماد المتبادل بين الدول و الاقتصادات المختلفة و في وحدة الأسواق المالية النقدية و في تعميق المبادلات التجارية، التي تعمل في إطار نزعت عنه القواعد و الإجراءات الحمائية وكما نصت على ذلك اتفاقية الغات و اتفاقية إنشاء منظمة التجارة الدولية .وتظهر الخاصية الاقتصادية من خلال عمل التكتلات الاقتصادية الدولية ونشاط الشركات متعددة الجنسية،وتثار هنا مشكلة أزمة الدولة القومية،وتأثير العولمة في مفهوم وتطبيقات فكرة السيادة الوطنية.

. **البعد السياسي**: ويتمثل في النزوع نحو الديمقراطية والتعددية السياسية وتثار حول هذه الخاصية إشكاليات عديدة ،منها مايتعلق بالتشكيك بكون الديمقراطية الغربية، هي الأسلوب الوحيد للديمقراطية، وهناك أيضا مشكلة ازدواجية المعايير في تطبيق قواعد حقوق الإنسان وذلك بسبب الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة ومجلس الآمن.

[1] ويقصد به المستثمرون متعددي الجنسية ومجهولي الهوية المتصلين ببعضهم بالشاشات والشبكات العالمية.

[2] شجرة الزيتون وترمز إلى الجذور والأصالة والانتماء والتمسك بالأرض والعادات والتقاليد فهي تمثل دفء العائلة وبهجة التفرد ولاعتزاز بالنفس وألامان.

. البعد الثقافي: ويتمثل في السعي نحو صياغة ثقافة عالمية واحدة لها قيمها ومعاييرها، والسؤال الذي يردهنا ،هل تؤدي هذه الثقافة العالمية إلى العدوان على الخصوصيات الثقافية، وتهديد الهويات الثقافية للمجتمعات المعاصرة.

-**البعد الاتصالي**: ويبرز من خلال البث المرئي عن طريق الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت.

غير أن ذلك لا يعني أن العولمة تسير على النطاق الكوني بغير مقاومة، فهنالك صراع مستمر بين العولمة والمحلية ، كما نوضح ذلك في الفقرة الآتية.

3-الصراع بين العولمة والمحلية:

تهدف عملية العولمة إلى التقليل من شأن الحدود، والخطوط الفاصلة بين الكيانات السياسية، وهي بذلك تسعى إلى توسيع الحدود واحتواء العالم، من خلال إقصاء الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية من اجل تسهيل مهمة انتقال الأفكار و المبادئ، و في إطار من حرية الأسواق، مما يؤدي إلى اختراق الحدود والانحسار الكبير في سيادة الدولة. في مقابل ذلك نجد أن المتشبثين بالمحلية والخصوصية والقومية والثقافية يطالبون بضرورة احترام الخطوط الفاصلة بين الحدود القومية للدول، ومنع انتقال القيم والأفكار التي تتصادم والخصوصية الثقافية، وهذا الاختلاف ناجم عن خوف الثقافات المتعددة من سيطرة ثقافة واحدة أو ثقافة الأقوى أو الثقافة المهيمنة، سواء في نمط تفكيرها ولغتها، آم في تسويقها المتفوق لسلعها وأنماطها الإنتاجية والاستهلاكية. لذا فأن المدافعين عن المحلية، يرون في العولمة الاقتصادية ما هي ألا تكريسا لكونية أممية، تريد بعزم وإصرار أن تحقق عولمة الثقافة بمعايير المرجعية الواحدة، الآمر الذي يهدد المرجعية القيمة للمجتمع المحلي، وهذا ما يدعو إلى الحفاظ على مقومات الهوية الحضارية التي تداهم بمنطق الكونية الجديدة. وقدر تعلق الآمر بالشأن الاقتصادي، فأنه اكثر للاتجاهات المناهضة للعولمة تعلن تخوفها من ميل العولمة نحو التنميط أو التماثل أو التوحيد القياسي"Standardization" أي سعيها نحو توحيد معايير وقواعد وأساليب الإنتاج

والتسويق والتمويل، وأخيراً المنافسة وفق قواعد وأساليب واحدة في كل الأسواق والبيئات.

وإن اتجاه العولمة نحو التوحيد القياسي (التنميط) ينطلق من حجتين أساسيتين.

الأولى: هي الناس في كل مكان متماثلون، في سعيهم للوصول إلى أعلى مستوى من الرفاهية الاقتصادية والثقافية، حتى وإن بدوا مختلفين في خلفياتهم الثقافية والقيمة.

الثانية: هي أن التكنولوجيا عالية المستوى، ستحقق منتجات عالية الجودة، وبتكاليف منخفضة، وهذا سيؤدي إلى توحيد الزبائن على طلب منتجات قياسية وذات مواصفات واحدة. وبالنتيجة فإن اتجاه التوحيد القياسي، يخاطب كينونة تجريدية، هي الزبون العالمي Global Customer ويقدم نماذج لمنتجات قياسية أصبحت مستخدمة على النطاق العالمي مثل الجينز، الكوكاكولا، همبركر ماكدونالد، ربطات العنق، الحقائب اليدوية. في مقابل ذلك نجد أن المدافعين عن المحلية يتبنون اتجاهاً مضاداً يدعو إلى التكييف Adaptation ومراعاة التنوع في البيئات المحلية والخصوصية الثقافية والقيمة، ومحاولة الارتقاء بتلك الخصوصيات إلى المستوى العالمي وصولاً إلى فسيفساء الأسواق والسلع والثقافات. وفي هذا السياق يتحدث دعاة العولمة عن مزاياها، في حين يركز مناهضو العولمة على عيوبها.(6)

وأهم المزايا التي يوردها دعاة العولمة هي :

1- إن العولمة تساهم في نشر السلع والتكنولوجيا والمهارات في جميع الأسواق.

2- إنها أداة تحديث لكل الصناعات والإقتصادات في العالم .

3-اكتساب المزايا الإضافية من خلال الانتقال من اقتصاديات الحجم إلى اقتصاديات المجال على مستوى العالم.

4-زيادة المبيعات والأرباح عن طريق التوسع في التصنيع والتوزيع واستغلال فرص النمو في الأقاليم المختلفة.

5- خفض درجة المخاطرة جراء انتشار أعمال الصناعة في اكثر من بلد وإقليم

وفي مقابل ذلك هناك عيوب عديدة يركز عليها دعاة المحلية ومن أبرزها:

1. أن تباين البيئات والثقافات، ربما يكون السبب الرئيسي في فشل الكثير من الصناعات أو المنتجات في بعض الأسواق، لكونها أهملت الخصوصية الثقافية أو احتياجات أو ظروف الطلب في الأسواق المحلية.
2. أن المزايا في التنوع لا تقل أهمية عن مزايا التوحيد القياسي والتكلفة الأدنى.
3. في ظل العولمة تزداد فرص عدم التكافؤ بين الصناعات المحلية والصناعات العالمية.
4. في ظل العولمة تزداد الأزمات والحروب الاقتصادية ، المسماة بحروب العولمة التي هي نتاج عالمي لما يعرف "بانا الشركة ""Cooperate Ego"، كحروب السيارات الأمريكية– اليابانية، اليابانية –الأوربية، وحرب المنظفات في أو روبا، وحروب الأسعار.وإزاء هذهِ المزايا والعيوب يمكن أن نشير إلى أن ثمة منظورين للعولمة.

الأول :-هو منظور المجموع الإيجابي:- وهو منظور مزايا العولمة، الذي يرى إنها ستؤدي إلى تعظيم وتعميم منافع التكنولوجيا والمنتجات والسوق، بما يوسع من الفطيرة ليأكل وينعم بها الجميع.

والثاني: هو منظور الجموع الصفري :- وهو منظور عيوب العولمة الذي يرى أن العولمة ستؤدي إلى تعظيم مزايا البعض وبشكل خاص ،الشركات العالمية ذات القدرة التنافسية العالية،على حساب البعض الآخر وبشكل خاص الشركات المحلية ذات الموارد والقدرة التنافسية الأدنى. فضلا عن تأثيرها السلبي على التنوع في البيئات والثقافات المحلية، بما يضع المحلية وخصائصها الداعية إلى التكيف، في مواجهة عميقة مع العوامة وخصائصها القياسية الداعية إلى التنميط.

وفيما يخص الأقطار النامية، فأن تعقيد ظروف التبعية الاقتصادية والتكنولوجية والغذائية للأسواق والمؤسسات السائدة في الأقطار الصناعية المتقدمة، تجعل معظم هذه الأقطار يتعامل مع العولمة من منظور المجموع الصفري، وهو منظور عيوب العولمة، و يدعو إلى التشبث بالمحلية، والاستمرار في تبني استراتيجية تعويض الاستيراد، باعتبارها هدف استراتيجي يساعد على حماية الصناعة الوطنية ،فضلاً عن دوره في صيانة الهوية الحضارية والقيم الثقافية المحلية.

4-العولمة الاعلامية

الأستاذ: شاشة فارس

يحاول دعاة العولمة تصويرها، على أنها عملية تحرر من سيطرة الدولة القومية إلى أفق الإنسانية الأوسع. وتحرر نظام التخطيط المركزي الثقيل إلى نظام السوق الحرة، وعلى الصعيد الثقافي فأنها تحرر من الولاءات الثقافية الضيقة والمتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة تتساوى فيها الأمم جميعا ،تحرر من كل أنواع التحيير المسبق لأمة آو لدين آو لأيديولوجيا بعينها إلى عقلانية العلم وحياد التكنولوجيا. وبذلك فهم يقدمون صورة وردية ومشرقة عن تلك الظاهرة، ولكن موقفنا سيتغير حتماً عندما ندرك بأن الذي يجري عولمتهُ ليس آلا سلع وخدمات بعينها، ذات طبيعة وخصائص معينة أفرزتها ثقافة بعينها(كأجهزة البث التلفزيوني الفضائي والانترنت والهاتف الخلوي). وهذا يعني آن العولمة هي في الحقيقة عولمة نمط معين من الحياة هو نمط الحياة الغربية وتحديدا نمط الحياة الأمريكية بما يشمله من علاقات أسرية واجتماعية والذي يتعارض والى حد كبير مع الخصوصية الثقافية الدينية لمعظم شعوب الأقطار النامية وبخاصة العربية والإسلامية. فآي حرية نوعد بها لو تحررنا من سيطرة الدولة إذا حلت الشركات متعددة الجنسية محل الدولة ،وآي مؤشر يدلل على آن الحرية في ظل سطوة هذه الشركات ستكون اكبر منها في ظل سطوة الدولة .وهل سنتحرر حقا عندما ينحسر نظام التخطيط المركزي أم أننا سنستبدل تخطيط الدولة بتخطيط الشركات ،وهل آن تخطيط الشركات العملاقة اقل مساسا بحريتنا من تخطيط الدولة. وهل يقف في وجه هذه الشركات شيء إذا أرادت آن تخطط لنا حياتنا وطريقة تفكيرنا بما يتفق مع أهدافها في الإنتاج و التسويق، وآي انتصار للديمقراطية واحترام لحقوق الإنسان يمكن أن نتوقعه في ظل سطوة هذه الشركات. ومن هنا تكمن الأهمية القصوى لإدراك آن العولمة هي عولمة حضارة أو ثقافة بعينها هي الثقافة الغربية. والاعتقاد بأن العولمة ظاهرة محايدة بين الحضارات والثقافات أو الاعتقاد أن الحضارات الغربية، هي حضارة إنسانية عامة ،وليست مجرد إفراز من إفرازات ثقافات بعينها.آن هذين الاعتقادين من شأنهما آن يرسخا الاعتقاد بان العولمة ظاهرة حتمية لا مفر منها، ولكن كما تبين فأن العولمة هي عولمة حضارة بعينها،وهذه الحضارة هي تعبير عن ثقافة أمه معينه ،أو ثقافة مجموعة معينة من الأمم .فالاعتراف بأنة الحضارة الغربية قد اكتسحت العالم لا يعني

اعترافا، بأنها نتاج العالم بأسره أو أنها تستحق آن تكتسح العالم بأسره فقد نقبل آن التقدم العلمي آمر حتمي وان التطور التكنولوجي آمر حتمي ولكن هذا لا يعني قبولنا بالحضارة الغربية كظاهرة حتمية، فالتقدم العلمي والتكنولوجي لا يمنحان لوحدهما الحضارة الغربية صفة العالمية آو الإنسانية، ولا يزيل عنها خصوصيته، فالحضارة الغربية التي تقوم على منطق السوق والاقتصاد التكنولوجيا وهدف تعظيم الربح في التعامل مع الإنسان والكون والطبيعة والنظام القيمي والأخلاقي، ربما تقف في موقف التناقض أو التصادم مع الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارات التي تمنح الأولوية للاعتبارات القيمية والأخلاقية في نظرتها للكون والوجود والإنسان وفي مقدمة تلك الحضارات الحضارة الإسلامية، ولا يمكن لانصار العولمة إقناع العالم بأن الحضارة الغربية هي الطريقة الوحيدة للنظر إلى تلك الأمور، بحجة أنها ثقافة محايدة، تعبر عن نوازع الإنسانية جمعاء، كما أن الاعتراف بالعولمة كظاهرة حتمي، قد لا يكون في الحقيقة أكثر من اعتراف المرء بنفاد طاقة المقاومة أي انه نفد جهده وأصبح مستعداً للتسليم لعملية التبعية للغرب، وما يتبع ذلك من فقدان الشعور بالانتماء للوطن والأمة والدولة. أو انه يعكس استعجال المكافأة، وهو موقف ظالم لأنه يحمل عدة أجيال قادمة عبء فشل جيل بعينه، و قدم لنا(كمال أتاتورك) مثلاً على هذا النوع من الخطأ، باستعجاله التسلم وإعلان الهزيمة أمام حضارة الغرب، ولازال أحفاده حتى اليوم يحاولون إصلاح الخطأ الذي أرتكبه. وبناء على ما تقدم،فان السؤال المركزي يكمن في الكيفية التي يمكن بها تحقيق التوافق بين الإحساس بالوطن والانتماء والهوية الثقافية من ناحية والسعي نحو التقدم والرقي والازدهار والتحديث في ظل العولمة من ناحية أخرى؟ وبهذا الصدد يحاول دعاة العولمة إقامة تناقض مصطنع بين الاثنين،ويرون آن الانخراط في مسارات العولمة والسوق هو الطريق الوحيد،بينما الاحتفاظ ببعض الأسوار الحمائية بهدف حماية الهوية، هو طريق التخلف والاندثار،كما انهم لا يؤمنون بوجود إمكانية لاقامة التوازن بين الاثنين، ففي ظل العولمة هناك قائد جديد للأوركسترا في أسواق المال الدولية غير(صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) هو وكالات (التقييم والتصنيف) التي تصنف الاقتصاديات النامية وتعطيها درجات مثل

التلاميذ(A-B-C) بفتحة واحدة وبفتحتين، وبالتالي فهي ترفع من تشاء وتذل من تشاء حسب درجة الانصياع لقواعد واليات العولمة.فعلى سبيل المثال ،قامت هذه الوكالة بتخفيض تصنيف الاقتصاد الهندي من مرتبة الاستثمار التي تعني انه اقتصاد آمن للمستثمرين العالميين الى مرتبة المضاربة التي تعني آن هناك مخاطر ستواجه من يفكر بالاستثمار في الهند،وهذا يعني آن نظام العولمة الذي يتم التبشير به ،له جهاز شرطة،خاص برصد تحركات الذين لا ينصاعون لقوانين العولمة،ويبادر بعمليات التأديب التي تتركز على كيفية وضع العراقيل أمام الجهود الهادفة الى تحقيق التنمية المستقلة.(7)

5- عولمة المضامين بعد الوسائل

مع كل ما تؤشره حقيقة سيطرة الغرب ولاسيما الولايات المتحدة على تقنيات المعلومات، فأن العولمة التقنية في ذاتها، ليست القضية المباشرة ، خصوصاً أنها أمر واقع من المستحيل رفضه أو الانعزال عنه، بل ويمكن تسخيره لتحقيق نتائج ايجابية ، وإنما القضية هي تأثير المستجدات التقنية وأبعادها الاجتماعية من خلال مضمون المعلومات المتداولة.

وأذا كان الشمال الغني يسيطر على وسائل الاتصال والمعلومات، فأنه يسيطر أيضا على المضامين المنقولة من خلالها، والولايات المتحدة وحدها تمتلك (65) بالمائة من المادة الإعلامية العالمية)، بكل تفرعاتها من أخبار ومواد للترفيه وبرمجيات للحواسيب، وألعاب الكترونية، وأفلام سينمائية ... الخ، في حين تسيطر دول الشمال الأخرى على غالبية النسبة المتبقية.

وقد شهدت سنوات التسعينيات من القرن الماضي تركيزاً كبيراً لرأس المال في شركات ومؤسسات الإعلام والاتصال الغربية، وهناك الآن ما لا يقل عن أثني عشر عملاقاً صناعياً أميركيا في مجالات الاتصالات والإعلام والمعلوماتية من منتجي للبرامج والمواد التي تغرق السوق الأميركية والعالمية.

وتمكنت دول الشمال ولاسيما الولايات المتحدة من بناء قوة تأثير مهمة في العالم بسبب استحواذها على الوسائل والمضامين وسيطرتها على مفاتيح تطورها، ولذلك فقد استغلت الولايات المتحدة هذه الإمكانيات الضخمة في تكريس ظاهرة العولمة، وصنعت

لها إعلامها الخاص الذي يحاكي بطبيعة الخال مجمل التوجهات والأهداف الأميركية التي تسعى دوماً إلى تحقيق هدفين هما : الثروة والهيمنة.

ويعرف إعلام العولمة بأنه سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة ، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدوداً فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالماً من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع وسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء. (8)

ويسعى إعلام العولمة الى تحقيق جملة من الأهداف يمكن أجمالها بالتالي:

1- دمج الثقافات الوطنية وإلغاء خصوصية المجتمعات والدول، ومحاولة تعميم نموذج موحد لما يسمى بالمواطن العالمي الذي عليه أن يتخذ مظهراً خاصاً مقبولاً بالقياسات الأميركية، وهو أمر وصل الى حد التدخل في صياغة سلوك الأديان وتحديداً الإسلام (منذ أيلول 2001، والدعاية الأميركية تقدم نموذجاً للمسلم الذي تريد: متعاون مع الغرب، رافض لمبدأ الجهاد الذي أصبح يعادل الإرهاب ، المنسجم مع الطرح الأميركي ، وخلاف ذلك سيكون المسلم إرهابيا متعصباً وعدوانياً).

والهدف الأساسي للعولمة الثقافية هو بالطبع ذاته الذي دأبت عليه الدعاية الأميركية لعقود خلت والمتمثل بتعميم ونشر النموذج الأميركي عبر العالم، والأمر هنا لا يقتصر على أفلام هوليود أو إمكانيات الإعلام الدولي لكنه بات يتعلق برموز خلقتها الدعاية الأميركية مثل (الجينز) و (مكدونالد).

2 – تعمل العولمة الإعلامية على دعم وإسناد العولمة الاقتصادية، فنشر النزعات الاستهلاكية أصبح واحداً من الوظائف الأساسية لاعلام العولمة، ففي خمس دول هي الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا واليابان وبريطانيا توجد (172) شركة من أصل (200) هي أكبر الشركات التي تسيطر على الاقتصاد العالمي، وهذه الشركات تحتاج الى

ترويج بضائعها وفتح أسواق جديدة ومستمرة لها، فتعمد دولها إلى الإفادة من إمكانياتها الاتصالية في تحقيق هذا الهدف ليتشكل ثالوث العولمة الذي يتضمن:

- **نظام اقتصادي**: يستخدم آلية السوق العالمية كمجال للمنافسة ، وبالتالي اصطفاء الأنواع بصورة صريحة وفقاً لنظرية داروين البيولوجية التي تقول "البقاء للأصلح" واعتمادها كمنهج في مجال الاقتصاد على المستوى العالمي

- **نظام ثقافي**: يسعى إلى تغيير الواقع الثقافي لتقبل مخرجات السوق العالمية ومنتجاتها بالاعتماد على وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

- **نظام إعلامي**: يعتمد على توظيف تكنولوجيا الاتصال ووسائله في عملية الاختراق الثقافي بالدعوة والترويج لثقافة الاستهلاك ولمنتجات السوق العالمية.

وقد وجد أحد الباحثين أن الفضائيات التلفزيونية تسهم في زيادة النزعة الاستهلاكية لدى (75) بالمائة من الجمهور في إحدى المدن العربية الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية ونفسية واقتصادية عديدة.

3- تعمل العولمة الإعلامية على ربط السياسات الدولية بالمزاج الأميركي بشكل خاص، وتستخدم الولايات المتحدة في سبيل هذا الهدف إمكاناتها الاتصالية وقدرات إنتاج المحتوى لأحداث الخلل في نظم سياسية محددة وتعميم الفوضى داخل المجتمعات المحلية، وذلك عبر إطلاق شعارات مثل (حقوق الإنسان) و (حقوق الاقليات) و (مكافحة الإرهاب) ... الخ.

وتستخدم الولايات المتحدة هذا الأسلوب في إطار الحرب النفسية المسلطة على الدول والحكومات غير المتوافقة مع سياساتها، ولذلك فأن الإعلام الأميركي عادة ما يتجاهل أنظمة سياسية معينة معروفة بسياساتها القمعية لمجرد أنها تخدم المصالح الأميركية .

وأذا ما كانت العولمة السياسية تهدف إلى تقليص فاعلية الدول أو تقليل دورها، فأن ذلك ليس غير مقدمة لتعويم مبدأ السيادة بكل أشتراطاته ومقوماته ، حيث يتناقض هذا المبدأ مع متطلبات العولمة ، ويقف في طريق أهدافها التي من بينها رهن القرارات السياسية للدول بيد الشركات متعددة الجنسيات وعواصم الدول الكبرى.

ومما يمكن ملاحظته أن أسوأ الاضطرابات العرقية والاثنية والطائفية في العالم قد حدثت في عصر تصاعد خطاب العولمة وانطلاق ثورة المعلومات خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي، وهذا الواقع هو إحدى نتائج أسلوب التحريض والإثارة الذي اعتمده إعلام العولمة ومازال بغرض إعادة تشكيل الواقع الدولي وطبيعة النظم السياسية، بل وحتى القوانين الدولية لخدمة مصالح قوى عظمى بعينها.

4 - من أهداف أعلام العولمة استخدام القدرات التقنية الضخمة والمؤثرة لاضعاف نظم الإعلام الوطنية وتعميق تبعيتها للمؤسسات الإعلامية الدولية الكبرى ، تشترك في ذلك المؤسسات الإخبارية أو الثقافية، التي كان من نتائج احتكارها الطويل لسوق المعلومات ومن ثم تقنياتها أن جرى تهميش وسائل الإعلام الوطنية وتحويلها إلى مجرد وسيط لنقل مضامين المؤسسات الإعلامية الكبرى الى الجماهير المحلية.

وأذا كانت السيطرة قد استمرت عدة عقود على شكل طغيان للمضامين المصنوعة في الغرب، فأن الذي حصل في ظل العولمة ومع تقدم تقنيات الاتصال، أن بدأت مؤسسات إعلام العولمة بمخاطبة الجماهير المحلية مباشرة من خلال الفضائيات والانترنيت، فباتت وسائل الاعلام الوطنية تواجه تحديات أخطر بعد أن بدأت تخسر جمهورها في أوطانها.

والحقيقة الموضوعية هنا، أن معظم نظم الإعلام الوطنية هي التي هيأت لاعلام العولمة هذه الفرصة للاستحواذ على الجمهور، حيث أنها ظلت تتعامل مع الجمهور بطريقة تسلطية بسبب غياب المنافسة ولأن الجمهور مضطر لتعامل معها لعدم وجود بديل، فما أن ظهرت الفضائيات وسائر الإمكانات الاتصالية، انفض الجمهور من حولها، وسعى إلى إعلام غريب لا يستسيغه ولا يجد فيه لونه المحلي، لكنه كان مضطراً لذلك بعد أن فشلت نظم الإعلام الوطنية بتقديم خدمات معلوماتية وإخبارية مناسبة لجمهورها وكل ذلك صب في النهاية لصالح إعلام العولمة.

وإذا كان كل ما سبق يمثل الجانب السلبي، فأن للتقنيات الحديثة في ميدان الاتصال مظاهرها الايجابية أيضاً، فهي:

1- حققت للإنسان ولأول مرة في تاريخه قدرة التواصل الحضاري المباشر مع الآخرين دون اعتبار لحواجز المكان.

2- وفرت فرص الحصول على كم هائل من المعلومات بأسرع وقت وأقل كلفة وهذا التطور عزز بالتأكيد من فرص تطوير البني العلمية والثقافية للدول النامية

3- شكلت مصدراً جديداً وشبه مجاني للمعلومات والإخبار لوسائل الإعلام الوطنية التي أصبحت لديها خيارات أفضل لانتقاء المعلومات بعد متابعتها في شتى المصادر ومنها مصادر الحدث الأصلية.

6-واقع البنية الاجتماعية للأسرة العربية المعاصرة في ظل العولمة الاعلامية :

إن الأسرة العربية حالها حال باقي الأسر العالمية الأخرى ذات الجنسيات المختلفة تعرضت إلى تغير كبير، ودخلت مرحلة من الصراع والتعقيد نتيجة للتطور التقني والتفجّر المعرفي الهائل وثورة المعلوماتية المدهشة- الأمر الذي جعل العالم قرية صغيرة وجعل حياتنا مليئة بالاضطرابات النفسية وأشكال القلق المختلفة تقول د. موزة المهيري بهذا الشأن- "إنّ كل ذلك يلقي على كاهل الأسرة أعباءً ومسؤوليات جساما لتخفيف وطأة الظروف القاسية عن أفرادها- مما يجعلها ملاذاً روحيًا يلجأ إليها هربًا من صعوبة الحياة العصرية وتعقيداتها. إذ يلعب التواصل الأسري والتفاهم بين الزوجين دورًا حيويًا في تحفيز قدرات الإنسان على العمل وجعلها أكثر فعالية- ويخلق مقدمات ضرورية لحياة الإنسان الروحية- ويحدد روح الأسرة وأسلوبها والأدبيات المتبعة في التنشئة الاجتماعية للأطفال والمراهقين- كما يحمل في طياته السرور والسعادة- أو على العكس تمامًا يؤدي إلى إثارة الأحقاد والضغائن "نتيجة لتعقد الحياة الاجتماعية والتغير الكبير في مستويات المعيشة وارتفاع أسعار العديد من السلع الاستهلاكية الضرورية، وظهور الرغبة الكبيرة والحاجة الماسة إلى اقتناء تقنيات العصر والأجهزة الحديثة وليدة التطور التقني والعلمي التي شهده العالم في القرن العشرين، والحاجة إلى مواكبة الحداثة واللحاق بركب الثورة العلمية والتقنية،" اعتمدت بعض الدول العربية أسلوباً اجتماعياً أبوياً حين وفرت للمواطن حاجاته الأساسية بأثمان مدعومة، ما ساهم في إيجاد ذهنية التكاسل والتقاعس عن العمل الجدي، فظهرت تقاليد استهلاكية

واسعة دون أن يقابلها مجهود في الإنتاج. وأدى هذا بدوره إلى خلل في المجتمعات العربية وعجزها عن تلبية حاجاتها الأساسية المتزايدة من غذاء ولباس وسكن وأمن وغير ذلك، ما فتح الباب على مصراعيه للآفات الاجتماعية. وهذا الوضع المالي انعكس على المستوى الاقتصادي للأسرة العربية بشكل عام وجعلها تلاحق سرعة التقدم والتدفق التقني في السوق الاستهلاكية". ولا يمكننا القول أن الأسرة العربية هي الوحيدة التي شهدت هذا الغزو أو عاصرته أو وقعت تحت تأثيره، بل تؤكد الحقائق والشواهد أن الأمر قد تجاوز هذه الأسرة وامتد إلى الأسرة الأبعد في العالم. (9)

لقد تأثرت ملايين الأسر العربية من هذه الغزوات.حدث ذلك كنتيجة لتجاوز السيولة النفطية والاستثمار لحدود أقطار المنابع وصولاً إلى تلك الأسر التي كوّنت عائلوها من خلال الهجرة للعمل، فقد نشأت سوق واسعة في المنطقة العربية لاستهلاك المنتج الأجنبي، ويمكن القول إن البيت العربي تأثر بتلك الغزوات بدرجات متفاوتة. تتحدد الدرجة بالبعد أو القرب من منابع النفط ومراكز الاستثمار العالمي، كذلك بطول مدة المكوث حول المنابع. ثم تأثر البيت العربي بنوع التقنية حسب موقعه الاجتماعي والاقتصادي. فكلما تحقق دنو الأسرة من أقطار منابع النفط، وكلما استمرت الإقامة مدة طويلة، وكلما ارتفع دخل الأسرة.. زاد امتلاكها للأدوات وللأجهزة الحديثة من كل نوع ومن كل حجم.

ونتيجة لغزو تلك المواد أسواقنا ومجتمعاتنا وانشغال الأطفال والشباب في مختلف الأعمار بها منبهرين بما تحمله من تقنية، فقد تقلص التواصل الأسري بشكل كبير وتقلصت الساعات التي يتم فيها لقاء أفراد الأسرة فيما بينها كما كان في السابق مما اثر سلبا على مستوى التربية الأسرية والتواصل الروحي والعاطفي بين أفرادها ، فقد أوضحت الدكتورة موزة في دراستها " أن العجز عن التواصل بين الأهل والأطفال يعتبر إحدى الحقائق المريرة في هذا العصر المعقد. لقد أحصى علماء الاجتماع مدة التواصل بين الأطفال والأبوين- فكانت حوالي 15 دقيقة كل يوم- فكيف يمكن أن نوفر الوقت الكافي للتواصل بأطفالنا وخصوصًا بالنسبة للأسر العاملة؟ إن المخرج الوحيد لهذه المشكلة هو استخدام يومي عطلة يخصصان بأكملهما للأطفال "يتم قضاؤهما داخل

البيت أو القيام برحلات ترفيهية أو القيام بزيارات عائلية بين الأقارب بغية تنمية روح الانتماء الأسري لدى الأطفال والابتعاد عن خطر الانسلاخ الأسري والتباعد الأسري الذي ممكن أن تنتجه الحداثة، ومع خروج المرأة للعمل وبعد أن وضعت قدميها على أول الطريق لكي تكون جنباً إلى جنب بجوار الرجل تشاركه مواجهة الصعوبات الاقتصادية والمادية وتقاسمه المهنة، هنا نجد أن هزة عنيفة قد أصابت الثابت الذي يحكم علاقة الرجل بالمرأة بشكل عام، وبالتالي علاقة الأزواج بعضهم البعض، غير أن هذه الهزة تبدو منطقية لحداثة عهدنا بهذه الأمور التي بدأت تقريباً مع النصف الأخير من القرن الماضي، إذ لا يزال بيننا من يرفض عمل الزوجة ومن يفرض الوصاية على تحركاتها خوفاً على كرامته أو رجولته.

وتضيف د. موزة المهيري (10) " أن التصدي لواقع المرأة العربية من أجل تطويره، يستلزم التصدي لواقع المجتمع العربي وقدراته على التطور، فهناك علاقة جدلية تربط بين المرأة العربية ومجتمعها تأثراً وتأثيراً، ومن ثم تعتبر معرفة آليات التغير والتغيير في المجتمع ودور المرأة في هذه العملية، شرطاً أولياً للوصول إلى ما تهدف إليه من تطوير وتحرير للمرأة والمجتمع ". لا يختلف اثنان في أن العلاقات بين الجنسين آخذة في التغير بشكل واضح وملموس وظاهر للعيان لمن ينظر. وضع المرأة تغير اليوم، النساء يملأن الشارع، المكتب، المقهى، المصرف، المدرسة، الجامعة، المصنع.انه تغير ظاهر للعيان، ومن غير الممكن العودة إليه. تركت المرأة ميدان الخاص (المنزل) ودخلت ميدان العام (العمل – الشارع...) وأنها تقوم بكافة الأعباء بشكل عادي وبأداء ليس أسوأ من أداء بعض الرجال على أي حال. كما أن الملاحظ ازدياد عدد الفتيات في الجامعة بات يزيد على عدد الطلاب، وهي ظاهرة تعم معظم الدول العربية. كما حصلت المرأة على قدر عالٍ من الديمقراطية في التعبير عن آرائها بكل حرية، حيث أصبح لها الحق باختيار شريك حياتها كما يمكنها الاتصال به وإقامة نوع من العلاقة فيما بينهما في الفترة التي يطلق عليها (فترة الخطوبة) بغية التعرف أكثر، ومعرفة المزيد عنهما.بينما في الزواجات التقليدية السابقة التي سبقت القرن العشرين كان الزواج يتغلب عليه المصلحة المتعلقة بالأسرتين، المصلحة الاقتصادية في الدرجة الأولى، في معظم الأحيان لم يكن أي

من الزوجين على علاقة مسبقة مع الآخر، أو حتى مجرد معرفة وكانت العلاقات بينهما تظل رسمية،" حتى إننا أحيانا قد نتساءل عن سبب القصة المحزنة التي عرفها قيس المعروف بمجنون ليلى، إن قيس ابن عم ليلى، كان من الممكن له أن يتزوجها ببساطة وبشكل طبيعي لو انه لم يشهر غرامه بها وعشقه لها، الذي جعل من إتمام هذا الزواج شبه مستحيل، وجعل من قصتهما أسطورة. بمعنى آخر من الممكن للزوجين أن يتحابا عمليا فيما بعد، لكن ذلك لم يكن سبباً كافياً للزواج وأحيانا كان سبباً كافياً لإلغاء إمكانية الزواج"، بينما نلاحظ أن الزواج عن حب صار من البديهيات الآن، إن الحب صار سبباً كافياً لتخطي كافة العقبات التي كانت تحول تقليدياً دون إتمام الزواج الأساسي لاتحاد الزوجين، إذن الشكل الجديد للزواج ولتكوين أسرة في تاريخ العلاقة بين الجنسين يقلل من وظيفة الأسرة الاقتصادية الاجتماعية، التي عرفتها لآلاف السنين، ويجعل منها وحدة عاطفية تذوب فيها الفروقات ويتشارك الزوجان في كافة الأنشطة وعلى قدر كبير من المساواة." وبينما المرأة في المجتمع التقليدي لا ترفع رأسها قبالة زوجها وتتحمل سلطته وتأنيبه وتعترف له بحرية كاملة في الخروج والعودة في الأوقات التي تناسبه، كما عبر ذلك نجيب محفوظ في ثلاثيته وعبر شخصيته (سيد) المستبد". أما الآن فيسود الأسرة طابع من الديمقراطية والعلاقات المنفتحة والتشارك في كافة الميادين، وصارت العاطفة هي الرباط الذي يجمع بين أفرادها،

ولكن رافق هذا التغير الايجابي في المجتمعات العربية العديد من التغيرات السلبية ويمكن أن نحصر عدد من هذه التغيرات بالنقاط الآتية:

1- تأخر سن الزواج: ففي المغرب، واستناداً إلى تقارير المسح الديموغرافية، يرد ما يلي: " لم يتوقف سن الزواج الأول عن التزايد منذ العام 1960، حينها كانت هذه السن 18 عاماً، لكنها بلغت الآن 27 عاماً. وتزايد تناول حبوب منع الحمل من 8 في المائة في الستينات إلى 60 في المائة الآن"(2)، ما أدى إلى ملاحظة نقص في الولادات بشكل متوسط، كذلك تأخر سن الزواج في تونس (2،29 سنة للفتيات و5،32 للفتيان) أي

متوسط 16 عاماً بعد البلوغ. كذلك تأخر سن الزواج في لبنان إلى متوسط 29 سنة ". (11)

2- ***تغير العلاقات بين الجنسين:*** تقليدياً تتعلم الفتاة من صغرها أن تكون أو أن تصبح زوجة صالحة وأماً، تربي الأولاد لكي يكونوا مواطنين صالحين ولتتعلم مهنة للمستقبل لاكتساب الوسائل التي تساعدهم على فهم الأشياء التي تدور حولهم في العالم الخارجي. وهكذا تتدرب الفتاة لإدارة مملكتها المنزلية وتدبير شؤونها، بينما يتهيأ الفتى لاقتحام العالم الخارجي ولحماية وطنه والعمل على بنائه. بينما الآن أصبحت المرأة تطالب بنفس الحقوق، فهي تطالب بالخروج إلى العمل والمطالبة بان يكون لها دور في الفعاليات الاجتماعية والسياسية ، وان يكون لها حضور على الصعيد الرسمي المحلي والعالمي، فقد تغير دور المرأة في القرن العشرين من المحيط المنزلي (العائلي) إلى المحيط الخارجي. (مجالات العمل خارج إطار المنزل)، مما أثر سلباً على طبيعة العلاقة بين الزوجين وبالتالي أثر سلباً على جميع أفراد العائلة، فقد اختفت تلك الحميمية التي تربط أفراد العائلة الواحدة وحل محله الفتور والبرود والتفكك، بسبب التطور الذي شهده القرن العشرين وما رافقه من تطور هائل في وسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات ،ربما يعود السبب أيضاً إلى الوضع الاقتصادي الذي يمُر به العالم وما يرافقه من تضخم وارتفاع الأسعار وتكاليف المعيشة.

3- ***العمل:"*** كانت العناية بالأسرة وبالبيت وإنجاب الأطفال الوظيفة الحصرية للمرأة، فلم تكن كائناً مستقلاً تماماً، كانت الابنة أو الزوجة أو الأم. الآن نسبة كبيرة من النساء في العالم، ونسبة لا بأس بها في بلادنا، لم تعد تكتفي بذلك، صار العمل خارج المنزل علامة تحرر المرأة وعلامة شخصيتها المستقلة ومن المكونات الأساسية لمعنى وجودها ".

ذلك أن التطور الذي حصل على الصعيد الاجتماعي وبعد الثورة الصناعية، جعل من العمل خارج المنزل هو الأهم،" ترافق ذلك مع ريح التغيير التي هبت على سماء المجتمع العربي في السنوات الأخيرة فقد اقتلعت من الجذور العديد من القيم التقليدية الراسخة فهي في ذلك لم تفرق بين القيم المادية الاقتصادية التي توجه سلوك الأفراد

لبعض أوجه الكسب لتحقيق مصلحة اقتصادية عاجلة وبين القيم المتعلقة بالعلاقة الزوجية والعلاقة الأسرية التي استقرت منذ آلاف السنين".

وصار الاقتصاد نقدياً،" أي إن المال الذي يجنى له حساب اكبر من المال الذي يتم توفيره، كما كان يحصل في المجتمعات التقليدية، وهذه من سمة المجتمعات الاستهلاكية الجديدة، اكسب ذلك العمل خارج المنزل كرامة وأهمية لم يكن يعرفهما. فالعمل من اجل الآخرين كان علامة الحاجة والفقر، لذلك صارت المرأة التي تبقى في المنزل تعتبر نفسها خادمة للزوج، المهم لم يعد إنها سيدة منزلها كما في الأوساط التقليدية حيث "تسود في مملكتها "، لكن الأهم إنها صارت تعمل من أجل الآخر. هذه السمة تم إكسابها للعمل بسبب تقسيم أماكن العمل وفصلها عن أماكن الحياة المنزلية ، ففي السابق كانت الزوجة أو الزوج، المرأة والرجل يعملان سوياً في المزرعة، كانت " التراتبية في الحياة الزوجية مقامة ليس على تقسيم العمل خارج / داخل أي عام / خاص، بل كان يمكن أن تظهر على شكل خدمة المرأة للرجل على المائدة أو أن تخلع له حذاءه، لكن مهامها المنزلية لم تكن اقل قيمة من مهامه، وهي صارت كذلك بسبب انتقاء الصفة العائلية عن العمل وتحوله إلى عقد فردي يقيمه الشخص بنفسه مع رب عمل دون علاقة شخصية بينهما. " لذلك صار عمل المرأة خارج المنزل هو العمل الفعلي وصارت تطلب المشاركة داخل المنزل من قبل الرجل من السمات التي تطبع العلاقة بينهما، مع ملاحظة أن تطلب المشاركة لا يعني حصولها فعلياً، لكنني ألاحظ في مجتمعنا نوعاً من تقبل لبعض الأعمال الآن من قبل الرجل: العناية بالطفل، الاهتمام ببعض أنواع الطعام، وفي المقابل أصبحت المرأة في نظر بعض الشباب لم تعد تمثل أكثر من صفقة ، لابد وان يخرج منها كطرف رابح . لم تعد للروابط الزوجية والعاطفية ما كان لها من ثقل وغدا الزواج المبني على الحب نوعاً من الوهم ، وصار ضربا من الرفاهية ".(12)

يعتبر الدكتور باقر النجار "إن متغير دخول المرأة للعمل أحد الأسباب في إحداث تلك التغيرات التي أصابت وتصيب الأسرة العربية والخليجية بصورة خاصة حيث ارتفعت وبشكل كبير مساهمة المرأة في سوق العمل في الخليج منذ السبعينات حتى الآن ، ويضيف أن خروج المرأة للعمل مهما كانت مجالاته وأسبابه إضافة إلى تلك التغيرات

البنيوية التي أصابت وتصيب الأسرة الخليجية سيؤدي إلى تكون وعي لدى المرأة بدورها ومكانتها في المجتمع مما سيدفع نحو تكوين أطر تنظيمية نسوية تؤطر العمل المطالب للمرأة بحقوقها السياسية والاجتماعية".

و تقول د. "موزة إن بلدان الخليج، وبعض الدول العربية بدرجة أقل، تعاني من طغيان العمالة الآسيوية في الأعمال المنزلية وتربية النشء نتيجة خروج المرأة للعمل ، وذلك في كثير من الأحيان ليس من موقف نحو مشاركة المرأة في العمل المدفوع الأجر فقط، وإنما أيضاً نحو أي جهد يمكن أن تبذله في المنزل أو في تنشئة أطفالها، وإلقاء هذا العبء على مربيات أجنبيات. ولا يمكننا أن نتجاهل في هذا المجال تأثير العمالة الآسيوية الوافدة، التي ارتفعت معدلاتها عن معدلات العمالة العربية الوافدة، في القيم الاجتماعية والثقافية والتوجه القومي لهذه المجتمعات، حيث إنها تنتمي إلى ثقافات مختلفة تماماً عن الثقافة العربية " وتظهر خطورة ذلك بشكل أوضح بالنسبة إلى تنشئة الأطفال واللغة التي يتعلمها حيث ظهرت في هذه المجتمعات لغة جديد تجمع بين اللغة الأجنبية واللغة العربية وهي ما يطلق عليها باللغة العربية(المكسرة)broken Arabic كما يطلق عليها في اللهجة العامية ، وذلك من اجل تسهيل عملية التفاهم بين الوافدين من المجتمعات العربية وبين مواطني البلد مما أدى إلى ضياع اللغتين العربية والأجنبية وظهور لغة جديدة، بالإضافة إلى بالتأثير في الصفات الشخصية والتكوين النفسي والثقافي للأجيال المقبلة، ويدعم هذا التأثير انتشار الأفلام الهندية والباكستانية في تلفاز ووسائل الخليج المنظورة (سينما).

4-تغير سلوك المراهقين: إن من الملاحظ في السنوات الأخيرة تغير كبير في سلوك المراهقين سواء الإناث منهم أو الذكور، فقد شرع المراهق إلى الخروج من ثوبه التقليدي ليرتدي ثوبا جديدا مستوردا من الخارج ، فقد اخذ الشباب بتقليد ما يصل إليهم عبر القنوات الفضائية الكثيرة الانتشار وما تحتويه من برامج ترويجية لمنتجات أجنبية أو منتجات كمالية عصرية منها ما يخص أدوات التجميل والتزين، وآخر صيحات الموضة البعيد جداً عن تقاليدنا الشرقية وأخلاقنا العربية بالإضافة عزوف المراهقين عن الدراسة والاهتمام بتحضير واجباتهم الدراسية إلى الخروج والاستمتاع في الأسواق

ودخول مقاهي شبكة المعلومات (internet Café) لقضاء الوقت بالمحادثة وإقامة علاقات صداقة عبر هذه المنظومة والدخول إلى مواقع إباحية ومواقع التسلية، ومن خلال خبراتنا في العديد من المجتمعات العربية والأجنبية من الممكن ملاحظة بان المراهقات والمراهقين يسلكون سلوكيات لها طابع عصري ومعولم، فمن الاهتمام بالجسد والمظهر إلى مواكبة الموضة العالمية من النحافة والاهتمام وارتداء الملابس الفاضحة حيث تقوم المراهقات بإظهار أجزاء من أجسادهن التي كانت من المحرمات حتى على اقرب الأشخاص منهن، وتقليد مشاهير السينما والتلفزيون في الشكل واللبس والتصرف بل حتى وصل الحال إلى التمادي في لبس الملابس الخليعة أكثر من أبناء الغرب ومشاهير التلفاز أنفسهم ، بالإضافة إلى شيوع ظاهرة السهر خارج المنزل لساعات متأخرة من الليل مع الأصدقاء ،" والسماح لأنفسهن بإقامة علاقات صداقة وعلاقات جنسية مع الشباب على غرار العلاقات الغربية بما يسمى (boy friend) بالإضافة إلى تناول الوجبات السريعة (fast food) ، مع والعزوف عن تناول طعام المنزل واعتبار ذلك نوعاً من أنواع التحضر، والإقبال على الموسيقى الغربية حيث تشكل الموسيقى الدارجة من أحدى محاور الاهتمام القصوى عند المراهقات والمراهقين ".(13)

الخاتمة:

لا تقتصر العولمة على تعميم القيم الاقتصادية وأنظمتها- بل إنها أخذت فعلا تعمم القيم الثقافية التي تكون لب حياة المجتمع- وبخاصة القيم الأخلاقية والدينية منها- إذ أن القيم الأخلاقية والدينية وما تؤدي إليه من سلوك فردي واجتماعي هي الأرضية التي تقوم عليها أنماط السلوك الاجتماعي- وهو ما يمثل الحياة الثقافية في مجملها- باعتبار أن الثقافة طريقة لرؤية العالم والتعبير عنه.

والثقافة التي تملك وسائل الاتصال القوية ووسائل صناعة الثقافة والرقابة عليها هي التي أخذت تهيمن اليوم عن طريق القنوات الفضائية والإنترنت- مما يؤدي إلى غلبة نماذج معينة من القيم الأخلاقية وأنماط معينة من السلوك والذوق- وخاصة لدى الأطفال الذين لم تتكون لديهم ملكة النقد- والحصانة الذاتية- فيقعون فريسة سهلة لما يعرض عليهم من صور مؤثرة- وأغان ورقص وأزياء- وتناول الأطعمة والأشربة-

وغيرها من أنماط الاستهلاك عن طريق الإعلانات المكررة والصور الجميلة المؤثرة- مما يؤثر تأثيرا واضحا على المعتقدات والقيم- وبما يعرض بقوة وبمهارة من قيم مجتمع أجنبي- وتصرفات غير مقبولة في مجتمعاتنا نحن المسلمين- بما في ذلك التمرد على الأسرة وتفكيك علاقاتها المتماسكة، ونشر ما يتعارض مع مرجعياتنا وقيمنا من سلوك جنسي فاضح واستهلاك للمحرمات.

الهوامش:

1- يس- السيد – العولمة والطريق الثالث – مكتبة الأسرة- القاهرة- 1991-ص20

2- د.الخزرجي، ثامر كامل/ والباحث ياسر المشهداني- العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي/ دار مجدلاوي للنشر- عمان 2004-ص 125

3- هانس بيتر مارتن/ هارولد شيمان- فخ العولمة/ ترجمة عدنان علي- الكويت- 1998- ص 214

4- يس ،السيد – نفس المصدر- ص 16

5- رضوان، زيادة – الاسلاميون وحقوق الانسان/ مجلة المستقبل العربي – عدد 236/ 1998 -ص 126

6- **روجيه غارودي – العولمة المزعومة – الواقع – الجذور – البدائل / دار الشوكاني – صنعاء – 1998 ص**[17]

7- هانس مارتن – هارالد شومان – فخ العولمة ص[55]

8-فياض، منى،العولمة والثقافة العربية، بحث مقدم في التجمع التأسيسي الأهلي لمناهضة العولمة ،شبكة المعلومات، شباط 2006،ص11-35.

9- رضوان،نادية- الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997،ص.23

10- المهيري موزة، الأسرة الخليجية إلى أين في ظل العولمة، (بحث) ، مجلة العالمية، العدد 117، سبتمبر 2006م.

11- تقرير التنمية البشرية لعام 2005 الصادر عن الامم المتحدة ، منتدى الحوارات الفاخرية ، شبكة المعلومات

12- عبد الله، عبد الخالق، (الدكتور) ،عولمة السياسة والعولمة السياسية المستقبل العربي العدد2002/278.

13-Croucher. *Globalization and Belonging: The Politics of Identity a Changing World.* Rowman & Littlefield. (2004). p.10Sheila